

## الحديث الثامن عشر

عَنْ أَبِي ذَرٍّ جُنْدُبِ بْنِ جُنَادَةَ وَأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»<sup>(١)</sup> رواه الترمذي وقال: حديث حسن. وفي بعض النسخ: حسنٌ صحيح.

### الشرح

قوله ﷺ: «اتَّقِ اللَّهَ» أي اتخذ وقاية من عذاب الله عز وجل، وذلك بفعل أوامره واجتناب نواهيه.

«حَيْثُمَا كُنْتَ» حيث: ظرف مكان، أي في أي مكان كنت سواء في العلانية أو في السر، وسواء في البيت أو في السوق، وسواء عندك أناس أو ليس عندك أناس.

«وَأَتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا» (أتبع) فعل أمر، و (السيئة) مفعول أول، و (الحسنة) مفعول ثان.

«تَمَحُّهَا» جواب الأمر، ولهذا جُزِمَتْ، لأن جواب الأمر يكون مجزوماً، ولو لم تكن مجزومة لقليل: تمحوها.

والمعنى: إذا فعلت سيئة فأتبعها بحسنة، فهذه الحسنة تمحو السيئة.

(١) أخرجه الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معاشره الناس، (١٩٨٧).

واختلف العلماء - رحمهم الله - هل المراد بالحسنة التي تتبع السيئة هي التوبة، فكأنه قال: إذا أسأت فتب، أو المراد العموم؟

الصواب: الثاني، أن الحسنة تمحو السيئة وإن لم تكن توبة، دليل هذا قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤] ولما سأل النبي ﷺ رجلٌ وقال: إنه أصاب من امرأة ما يصيب الرجل من امرأته إلا الزنا، وكان قد صلى معهم الفجر، فقال ﷺ: «أصليت معنا صلاة الفجر؟» قال: نعم، فتلا عليه الآية: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤]<sup>(١)</sup> وهذا يدل على أن الحسنة تمحو السيئة وإن لم تكن هي التوبة.

«وَأَتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا» فبين النتيجة وهي أنها تمحوها.

«وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقِي حَسَنٍ» أي عامل الناس بخلق حسن.

والخُلُقُ: هو الصفة الباطنة في الإنسان، والخَلْقُ: هو الصفة الظاهرة،

والمعنى: عامل الناس بالأخلاق الحسنة بالقول وبالفعل.

فما هو الخلق الحسن؟

قال بعضهم: الخلق الحسن: كف الأذى، وبذل الندى، والصبر على

الأذى - أي على أذى الغير - والوجه الطلق.

كف الأذى منك للناس.

بذل الندى أي العطاء.

الصبر على الأذى لأن الإنسان لا يخلو من أذية من الناس.

(١) أخرجه البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلاة كفارة، (٥٢٦). ومسلم، كتاب التوبة، باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤]، (٢٧٦٣)، (٤٢).

الوجه الطلق: طلاقة الوجه .

وضابط ذلك ما ذكره الله عزّ وجل في قوله: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩] أي خذ ما عفا وسهل من الناس، ولا تُرد من الناس أن يأتوك على ما تحب لأن هذا أمر مستحيل، لكن خذ ما تيسر ﴿ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩] وهل الخلق الحسن جبليّ أو يحصل بالكسب؟

الجواب: بعضه جبلي، وبعضه يحصل بالكسب، قال النبي ﷺ لأشجّ عبد قيس: «إِنَّ فِيكَ لَخُلُقَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمُ وَالْإِنْسَانَةُ» قال: يا رسول الله أخلقين تخلّقت بهما أم جبلي الله عليهما؟ قال: «بَلْ جَبَلَكَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا» قال: الحمد لله الذي جبلي على ما يحب<sup>(١)</sup>.

فالخلق الحسن يكون طبيعياً بمعنى أن الإنسان يمنّ الله عليه من الأصل بخلق حسن. ويكون بالكسب بمعنى أن الإنسان يمرّن نفسه على الخلق الحسن حتى يكون ذا خلق حسن.

والعجيب أن الخلق الحسن يُكسب الإنسان الراحة والطمأنينة وعدم القلق لأنه مطمئن من نفسه في معاملة غيره<sup>(٢)</sup>.

\* من فوائد هذا الحديث:

١- وجوب تقوى الله عزّ وجل حيثما كان الإنسان، لقوله: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ» وذلك بفعل أو امره واجتناب نواهيه سواء كنت في العلانية أو في السر.

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ وشرائع الدين (١٧)(٢٥) مختصراً، وعند أبي داود برقم (٥٢٢٥).

(٢) لفضيلة شيخنا رحمه الله رسالة كاملة عن حسن الخلق وأهميته لطالب العلم طبعت ضمن كتاب العلم ص ٢٥٥.

وأيهما أفضل : أن يكون في السر أو في العلانية؟

في هذا تفصيل : إذا كان إظهارك للتقوى يحصل به التأسى والاتباع لما أنت عليه فهنا إعلانها أحسن وأفضل ، ولهذا مدح الله الذين ينفقون سراً وعلانية ، وقال النبي ﷺ : « مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ »<sup>(١)</sup>

أما إذا كان لا يحصل بالإظهار فائدة فالإسرار أفضل ، لقول النبي ﷺ : « مَنْ يظلم الله في ظله : رَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ »<sup>(٢)</sup> .

وهل الأفضل في ترك المعاصي إعلانه أو إسراره؟

يقال فيه ما قيل في الأوامر ، فمثلاً إذا كان الإنسان يريد أن يدخل في عمل فقيل له : إنه يشتمل على محرم كالأمور الربوية فتركه جهاراً ، فذلك أفضل لأنه يُتأسى به ، وأما إذا كان الأمر لا يتعدى إلى الغير ولا ينتفع به فالإسرار أفضل .

فإن قال قائل : قوله ﷺ : « اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ » هل يشمل فعل الأوامر في أماكن غير لائقة كالمراحيض مثلاً؟

الجواب : لا تفعل الأوامر في هذه الأماكن ، ولكن انو بقلبك أنك مطيع لله عز وجل ممثّل لأمره مجتنب لنهيه .

٢- أن الحسنات يذهبن السيئات لقوله : « اتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا » .

(١) أخرجه مسلم ، كتاب الزكاة ، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمر أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار ، (١٠١٧) ، (٦٩)

(٢) أخرجه البخاري ، كتاب الجمعة ، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة (٦٦٠) ، ومسلم ، كتاب الزكاة ، باب فضل إخفاء الصدقة ، (١٠٣١) ، (٩٣) .

٣- فضل الله عزّ وجل على العباد وذلك لأننا لو رجعنا إلى العدل لكانت الحسنة لا تمحو السيئة أى بالموازنة، وظاهر الحديث العموم .

وهل يُشترط أن ينوي بهذه الحسنة أنه يمحو السيئة التي فعل؟

فالجواب: ظاهر الحديث: لا، وأن مجرد فعل الحسنات يذهب السيئات، وهذا من نعمة الله عزّ وجل على العباد ومن مقتضى كون رحمته سبقت غضبه .

٤- الحث على مخالقة الناس بالخلق الحسن، لقوله: «وخالقِ النَّاسَ

بِحُلُقِ حَسَنٍ» .

فإن قيل: معاملة الناس بالحزم والقوة والجفاء أحياناً هل ينافي هذا

الحديث أو لا؟

فالجواب: لا ينافيه، لأن لكل مقام مقال، فإذا كانت المصلحة في الغلظة

والشدة فعليك بها، وإذا كان الأمر بالعكس فعليك باللين والرفق، وإذا دار

الأمر بين اللين والرفق أو الشدة والعنف فعليك باللين والرفق، لأن النبي ﷺ

قال: «إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ»<sup>(١)</sup> ولقد جرت أشياء كثيرة تدل

على فائدة الرفق ومن ذلك: مرّ يهودي بالنبي ﷺ فقال: السام عليك يا محمد-

والسام يعني الموت- فقالت عائشة رضي الله عنها: عليك السام واللعنة- جزاءً

وفاقاً وزيادة أيضاً- فنهاها النبي ﷺ وقال: «إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ

كُلِّهِ وَإِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَقُولُوا وَعَلَيْكُمْ» . والله الموفق .

\* \* \*

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله، (٦٠٢٤)، ومسلم، كتاب

السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام (٢١٦٥)، (١٠) بلفظ «إن الله يحب

الرفق...»، وعند الإمام أحمد في المسند ١١٢/١ بلفظ: «إن الله رفيق يحب الرفق...» .

## الحديث التاسع عشر

عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمًا فَقَالَ: «يَا عَلَّامُ إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ: أَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، أَحْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»<sup>(١)</sup> رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح - وفي رواية - غير الترمذي: «أحفظ الله تجده أمامك، تعرّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً»<sup>(٢)</sup>

## الشرح

قوله «كُنْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ» يحتمل أنه راكب معه ويحتمل أنه يمشي خلفه، وأياً كان فالمهم أنه أوصاه بهذه الوصايا العظيمة.

«يَا عَلَّامُ» لأن ابن عباس رضي الله عنهما كان صغيراً، فإن النبي ﷺ توفي وابن عباس قد ناهز الاحتلام يعني من الخامسة عشر إلى السادسة عشر أو أقل.

(١) أخرجه الترمذي، كتاب صفة القيامة، (٢٥١٦)، والإمام أحمد ج ١/ص ٢٩٣.

(٢) الإمام أحمد في الامسند ١/٣٠٧، والحاكم في المستدرک - ج ٣/ص ٦٢٤، (٦٣٠٤).

قال: «إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ» قال ذلك من أجل أن يتتبه لها «إِحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ» هذه كلمة عظيمة جليلة و«احفظ» تعني احفظ حدوده وشريعته بفعل أوامره واجتناب نواهيه وكذلك بأن تتعلم من دينه ما تقوم به عبادتك ومعاملاتك وتدعو به إلى الله عزّ وجل، واحفظ الله يحفظك في دينك وأهلك ومالك ونفسك لأن الله سبحانه وتعالى يجزي المحسنين بإحسانه وأهم هذه الأشياء هو ان يحفظك في دينك ويُسَلِّمَكَ من الزيغ والضلال لأن الإنسان كلما اهتدى زاده الله عزّ وجل هدى ﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد: ١٧]، وعُلِمَ من هذا أن من لم يحفظ الله فإنه لا يستحق أن يحفظه الله عزّ وجل وفي هذا الترغيب على حفظ حدود الله عزّ وجل .

الكلمة الثانية قال «إِحْفَظِ اللَّهَ تَجِدَهُ تُجَاهَكَ» ونقول في قوله: «إِحْفَظِ اللَّهَ» كما قلنا في الأولى، ومعنى تجده تجاهك وأمامك معناهما واحد يعني تجد الله عزّ وجل أمامك يدللك على كل خيرٍ ويقربك إليه ويهديك إليه ويذود عنك كل شرٍ ولا سيما إذا حفظت الله بالاستعانة به فإن الإنسان إذا استعان بالله عزّ وجل وتوكل عليه كان الله حسبه ولا يحتاج إلى أحد بعد الله قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤] أي حسبك وحسب من اتبعك من المؤمنين فإذا كان الله حسب الإنسان فإنه لن يناله سوء ولهذا قال: «إِحْفَظِ اللَّهَ تَجِدَهُ تُجَاهَكَ» .

الكلمة الثالثة: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ» إذا سألت حاجة فلا تسأل إلا الله عزّ وجل ولا تسأل المخلوق شيئاً وإذا قدر أنك سألت المخلوق ما يقدر عليه فاعلم أنه سبب من الأسباب وأن المسبب هو الله عزّ وجل لو شاء لمنعه من إعطائك سؤالك فاعتمد على الله تعالى .

الكلمة الرابعة: «وَإِذَا اسْتَعْنَتَ فَاسْتَعِنِ بِاللَّهِ» فإذا أردت العون وطلبت

العون من أحد فلا تطلب العون إلا من الله عزّ وجل ، لأنه هو الذي بيده ملكوت السماوات والأرض ، وهو يعينك إذا شاء وإذا أخلصت الاستعانة بالله وتوكلت عليه أعانك ، وإذا استعنت بمخلوق فيما يقدر عليه فاعتقد أنه سبب ، وأن الله هو الذي سخره لك . وفي هاتين الجملتين دليل على أنه من نقص التوحيد أن الإنسان يسأل غير الله ، ولهذا تكره المسألة لغير الله عزّ وجل في قليل أو كثير ، والله سبحانه وتعالى إذا أراد عونك يسر لك العون سواء كان بأسباب معلومة أو غير معلومة ، فقد يعينك الله بسبب غير معلوم لك ، فيدفع عنك من الشر ما لا طاقة لأحد به ، وقد يعينك ، ولكن مع ذلك لا يجوز لك إذا أعانك الله على يد أحد أن تنسى المسبب وهو الله عزّ وجل .

الكلمة الخامسة : «وَأَعْلَمَ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَّمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ» الأمة كلها من أولها إلى آخرها لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء ، لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وعلى هذا فإن نفع الخلق الذي يأتي للإنسان فهو من الله في الحقيقة لأنه هو الذي كتبه له وهذا حث لنا على أن نعتمد على الله عزّ وجل ونعلم أن الأمة لا يجلبون خيراً إلا بإذن الله عزّ وجل .

الكلمة السادسة : «وَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَّمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ» وعلى هذا فإن نالك ضرر من أحد فاعلم أن الله قد كتبه عليك فارض بقضاء الله وبقدره ، ولا حرج أن تحاول أن تدفع الضر عنك ، لأن الله تعالى يقول ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى : ٤٠] .

الكلمة السابعة : «رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ» يعني أن ما كتبه الله عزّ وجل قد انتهى فالأقلام رفعت والصحف جفت ولا تبديل لكلمات الله . قوله رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح ، وفي رواية غير



الترمذي: «أَحْفَظِ اللَّهَ تَجِدَهُ أَمَامَكَ» وهذا بمعنى «احفظِ اللهَ تَجِدَهُ تُجَاهَكَ»، تَعَرَّفَ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفُكَ فِي الشَّدَةِ» يعني قم بحق الله عز وجل في حال الرخاء وفي حال الصحة وفي حال الغنى «يَعْرِفُكَ فِي الشَّدَةِ» إذا زالت عنك الصحة وزال عنك الغنى واشتدت حاجتك عرفك بما سبق لك من الخير الذي تعرفت به إلى الله عز وجل. «وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ» أي ما وقع عليك فلن يمكن دفعه، وما لم يحصل لك فلا يمكن جلبه، ويحتمل أن المعنى، يعني أن ما قدر الله عز وجل أن يصيبك فإنه لا يخطئك، بل لا بد أن يقع لأن الله قدره.

وأن ما كتب الله عز وجل أن يخطئك فلن يصيبك أبداً، فالأمر كله بيد الله، وهذا يؤدي إلى أن يعتمد الإنسان على ربه اعتماداً كاملاً ثم قال: «أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ» فهذه الجملة فيها الحث على الصبر، لأنه إذا كان النصر مع الصبر فإن الإنسان يصبر من أجل أن ينال النصر، والصبر هنا يشمل الصبر على طاعة الله وعن معصيته وعلى أقداره المؤلمة، لأن العدو يصيب الإنسان من كل جهة فقد يشعر الإنسان أنه لن يطيق عدوه فيتحسر ويدع الجهاد، وقد يشرع في الجهاد ولكن إذا أصابه الأذى استحسر وتوقف، وقد يستمر ولكنه يصيبه الألم من عدوه فهذا أيضاً يجب أن يصبر، قال الله تعالى: ﴿إِنْ يَمَسُّكُمْ كَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ كَرْحٌ مِثْلُهُ﴾ [آل عمران: ١٤٠] وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٠٤] فإذا صبر الإنسان وصابر ورابط فإن الله سبحانه ينصره.

وقوله: «وَاعْلَمْ أَنَّ الْفَرْجَ مَعَ الْكَرْبِ» الفرج: انكشاف الشدة والكرب، فكلما اكثرت الأمور فإن الفرج قريب، لأن الله عز وجل يقول في كتابه:

﴿ أَمَّنْ مَّحِيبٌ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾ [النمل: ٦٢] فبعد كل عسر يسر، بل إن العسر محفوف بيسرين، يسر سابق ويسر لاحق قال الله تعالى: ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ ﴾ [الشرح: ٥-٦]، قال ابن عباس رضي الله عنه «لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرِينَ».

\* من فوائد هذا الحديث :

- ١- ملاطفة النبي ﷺ لمن هو دونه حيث قال: «يَا غُلَامُ إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ».
- ٢- أنه ينبغي لمن ألقى كلاماً ذا أهمية أن يقدم له ما يوجب لفت الانتباه، حيث قال: «يَا غُلَامُ إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ».
- ٣- أن من حفظ الله حفظه الله لقوله: «احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظَكَ».
- ٤- أن من أضرع الله - أي أضرع دين الله - فإن الله يضيعه ولا يحفظه، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [الحشر: ١٩].
- ٥- أن من حفظ الله عزّ وجل هداه ودله على ما فيه الخير، وأن من لازم حفظ الله له أن يمنع عنه الشر.
- ٦- أن الإنسان إذا احتاج إلى معونة فليستعن بالله، ولا مانع أن يستعين بغير الله من من يمكنه أن يعينه لقول النبي ﷺ: «وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ».
- ٧- أن الأمة لن تستطيع أن تنفع أحداً إلا إذا كان الله قد كتبه له، ولن يستطيعوا أن يضرّوا أحداً إلا أن يكون الله تعالى قد كتب ذلك عليه.
- ٨- أنه يجب على المرء أن يكون معلّقاً رجاءه بالله عزّ وجل وأن لا يلتفت

إلى المخلوقين، فإن المخلوقين لا يملكون له ضرراً ولا نفعاً.

٩- أن كل شيء مكتوب منتهى منه، فقد ثبت عن النبي ﷺ أن الله عز وجل كتب مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة<sup>(١)</sup>.

١٠- في الرواية الأخرى أن الإنسان إذا تعرف إلى الله عز وجل بطاعته في الصحة والرخاء عرفه الله تعالى في حال الشدة فلفظ به وأعانه وأزال شدته.

١١- أن الإنسان إذا كان قد كتب الله عليه شيئاً فإنه لا يخطئه، وأن الله عز وجل إذا لم يكتب عليه شيئاً فإنه لا يصيبه.

١٢- البشارة العظيمة للصابرين، وأن النصر مقارن للصبر.

١٣- فيه البشارة العظيمة أيضاً بأن تفريج الكربات وإزالة الشدائد مقرون بالكرب، فكلما كرب الإنسان الأمر فرج الله عنه.

١٤- البشارة العظيمة أن الإنسان إذا أصابه العسر فلينتظر اليسر، وقد ذكر الله تعالى ذلك في القرآن الكريم، فقال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۗ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۗ﴾ [الشرح: ٥-٦] فإذا عسرت بك الأمور فالتجىء إلى الله عز وجل منتظراً تيسيره مصداقاً بوعده.

١٥- تسلية العبد عند حصول المصيبة، وفوات المحبوب على أحد المعنيين في قوله: «وَأَعْلَمَ أَنْ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخِطِّكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبِكَ» فالجملة الأولى تسلية في حصول المكروه، والثانية تسلية في فوات المحبوب. والله الموفق.

\* \* \*

(١) أخرجه مسلم، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، (٢٦٥٣).

## الحديث العشرون

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ عُقْبَةَ بْنِ عَمْرٍو الْأَنْصَارِيِّ الْبَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ الْأُولَى إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ»<sup>(١)</sup> رواه البخاري .

### الشرح

«إِنَّ» أداة توكيد خبرها مقدم وهو قوله : «مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ» واسم إنَّ قوله ﷺ : «إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ» وهذه الجملة على الحكاية ، فتكون الجملة كلها اسم إن ، والتقدير : إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى هذا القول . وقوله : «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ» (من) هنا للتبويض ، أي إن بعض الذي أدركه الناس من كلام النبوة الأولى . . . الخ .

وقوله : «النَّبِيُّ الْأُولَى» يعني السابقة ، فيشمل النبوة الأولى على الإطلاق ، والنبوة الأولى بالنسبة لنبوة النبي ﷺ وعليه نفسر : «النَّبِيُّ الْأُولَى» بأنها السابقة .

«إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ» هذه الكلمة من كلام النبوة الأولى ، والحياء : هو عبارة عن انفعال يحدث للإنسان عند فعل ما لا يجمله ولا يزينه ، فينكسر ويحصل الحياء .

وقوله : «إِذَا لَمْ تَسْتَحِ» يحتمل معنيين :

المعنى الأول : إذا لم تكن ذا حياء صنعت ما تشاء ، فيكون الأمر هنا بمعنى الخبر ، لأنه لا حياء عنده ، يفعل الذي يخل بالمروءة والذي لا يخل .

(١) أخرجه البخاري ، كتاب الأدب ، باب إذا لم تستح فاصنع ما شئت ، (٦١٢٠) .

المعنى الثاني: إذا كان الفعل لا يُسْتَحْيِي منه فاصنعه ولا تبال .  
 والمعنى: لا تترك شيئاً إذا كان لا يُسْتَحْيِي منه .  
 فالأول عائد على الفاعل، والثاني عائد على الفعل .  
 وقوله: «فاصْنَعْ مَا شِئْتَ» أي افعل، والأمر هنا للإباحة على المعنى الثاني، أي إذا كان الفعل مما لا يستحى منه فلا حرج .  
 وهي للذم على المعنى الأول، أي أنك إذا لم يكن فيك حياء صنعت ما شئت .

\* من فوائد هذا الحديث :

١- أن الآثار عن الأمم السابقة قد تبقى إلى هذه الأمة، لقوله: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ الْأُولَى» وهذا هو الواقع .  
 وما سبق عن الأمم السابقة إما أن ينقل عن طريق الوحي في القرآن، أو في السنة، أو يكون مما تناقله الناس .  
 فأما في القرآن ففي قوله عز وجل: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [١٧] إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿[الأعلى: ١٦-١٩]﴾، وما جاءت به السنة فكثير، كثيراً ما يذكر النبي ﷺ عن بني إسرائيل ما يذكر .  
 وأما ما يؤثر عن النبوة الأولى: فهذا ينقسم إلى ثلاثة أقسام:  
 القسم الأول: ما شهد شرعنا بصحته، فهو صحيح مقبول .  
 القسم الثاني: ما شهد شرعنا ببطلانه، فهو باطل مردود .  
 القسم الثالث: ما لم يرد شرعنا بتأييده ولا تفيده، فهذا يتوقف فيه، وهذا هو العدل .

ولكن مع ذلك لا بأس أن يتحدث به الإنسان في المواقف وشبهها إذا لم يخش أن يفهم المخاطب أنه صحيح .  
 ومما يذكر عن داوود عليه الصلاة والسلام حينما دخل محرابه - أي

مكان صلاته - وجعل يتعبد وأغلق الباب، وكان ﷺ قد جعله الله تعالى خليفة في الأرض يحكم بين الناس، فجاء الخصمان فلم يجدا الباب مفتوحاً، فتسورا الجدار فنزلا على داوود، ففزع منهم، كعادة البشر، قالوا: لا تخف، وهذا يدل على أنهم أكثر من اثنين، فقالوا ﴿حَصْمَانِ بَعَى بَعْضَنَا عَلَى بَعْضٍ﴾ [ص: ٢٢٢] ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجَّةً﴾ [ص: ٢٢٣].

هؤلاء خصوم ويقول: إن هذا أخي، وهذا أدب رفيع، لو كان في وقتنا هذا لقال إن هذا المجرم الظالم، لكن هذا قال: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجَّةً﴾ أي شاة ﴿وَلِي نَجَّةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٢٣] أي غلبني لأن عنده بياناً وفصاحة.

قال داوود: ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَجِيكَ إِلَيَّ عَاجِيَهُ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤-٢٥].

وقد زعم اليهود أن لداوود عليه الصلاة والسلام جندياً له امرأة جميلة، وأرادها داوود، ولكي يتوصل إليها أمر هذا الجندي أن يذهب في الغزو من أجل أن يقتل فيأخذ داود زوجته<sup>(١)</sup>.

وهذا لاشك أنه منكر، ولا يقع من عامة الناس فكيف يقع من نبي؟! لكنهم افتروا على الله كذباً وعلى رسله كذباً.

فإن قال قائل: ما وجه قوله: ﴿وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤].

فالجواب: أن الذي حصل من داوود عليه السلام فيه شيء من المخالفات، منها: أولاً: أنه انحسب في محرابه عن الحكم بين الناس، وكان الله تعالى قد جعله

(١) انظر الروايات في ذلك في الدر المنثور للسيوطي (٧/١٥٥-١٦٣).

خليفة يحكم بين الناس ، ولكنه أثر العبادة القاصرة على الحكم بين الناس .

ثانياً: أغلق الباب مما اضطر الخصوم إلى أن يتسوروا الجدران ، وربما يسقطون ويحصل في هذا ضرر .

ثالثاً: أنه عليه الصلاة والسلام حكم للخصم قبل أن يأخذ حجة الخصم الآخر ، فقال : ﴿ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَجِيكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ ﴾ [ص: ٢٤] وهذا لا يجوز ، أي لا يجوز للحاكم أن يحكم بقول أحد الخصمين حتى يسمع كلام الخصم الآخر ، فعلم داود أن الله تعالى اختبره بهذه القصة فاستغفر ربه وخر راکعاً وأناب .

فما أثر عن بني إسرائيل في هذا نعلم أنه كذب ، لأنه ينافي عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأخلاقهم ، وما جاؤوا به من العدل .

٢- أن هذه الجملة : «إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعِ مَا شِئْتَ» مأثورة عن سبق من الأمم ، لأنها كلمة توجه إلى كل خلق جميل .

٣- الثناء على الحياء ، سواء على الوجه الأول أو الثاني ، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : «الْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»<sup>(١)</sup> .

والحياء نوعان :

الأول : فيما يتعلق بحق الله عز وجل .

الثاني : فيما يتعلق بحق المخلوق .

أما الحياء فيما يتعلق بحق الله عز وجل فيجب أن تستحي من الله عز وجل أن يراك حيث نهاك ، وأن يفقدك حيث أمرك .

وأما الحياء من المخلوق فأن تكف عن كل ما يخالف المروءة والأخلاق .

فمثلاً: في المجلس العلمي لو أن إنساناً في الصف الأول مدَّ رجله ،

(١) سبق تخريجه صفحة (١٨٥) .

فإنه لا يعتبر حياءً لأن هذا يخالف المروءة، لكن لو كان يجلس بين أصحابه ومدّ رجله فإن ذلك لا ينافي المروءة، ومع هذا فالأولى أن يستأذن ويقول: أتأذنون أن أمدّ رجلي؟

ثم الحياء نوعان أيضاً من وجه آخر:

نوع غريزي طبيعي، ونوع آخر مكتسب.

النوع الأول: فإن بعض الناس يهبه الله عزّ وجل حياءً، فتجده حياءً من حين

الصغر، لا يتكلم إلا عند الضرورة، ولا يفعل شيئاً إلا عند الضرورة، لأنه حيي.

النوع الثاني: مكتسب يتمرن عليه الإنسان، بمعنى أن يكون الإنسان

غير حيي ويكون فرهاً باللسان، وفرهاً بالأفعال بالجوارح، فيصحب أناساً أهل حياء وخير فيكتسب منهم، والأول أفضل وهو الحياء الغريزي.

ولكن اعلم أن الحياء خلق محمود إلا إذا منع مما يجب، أو أوقع فيما

يحرم، فإذا منع مما يجب فإنه مذموم كما لو منعه الحياء من أن ينكر المنكر مع وجوبه، فهذا حياء مذموم، أنكر المنكر ولا تبال، ولكن بشرط أن يكون ذلك واجباً وعلى حسب المراتب والشروط، والحياء الممدوح هو الذي لا يوقع صاحبه في ترك واجب ولا في فعل محرم.

٤- أن من خلق الإنسان الذي لا يستحيي أن يفعل ما شاء ولا يبالي،

ولذلك تجد الناس إذا فعل هذا الرجل ما يستحيي منه يتحدثون فيه ويقولون:

فلان لا يستحيي فعل كذا وفعل كذا وفعل كذا.

٥- ومن فوائد الحديث على المعنى الثاني: أن ما لا يستحيي منه

فالإنسان حلّ في فعله لقوله: «إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ».

٦- فيه الرد على الجبرية، بإثبات المشيئة للعبد. والله الموفق.